

## المبحث الرابع :

التعليم الإسلامي، ونقد موقف (راند) منه

## المبحث الرابع

### التعليم الإسلامي ونقد موقف (راند) منه

تنوعَ حديث (راند) عن التعليم في العالم الإسلام إلى نوعين:

١- حديث عن التعليم بصورة جزئية في معرض الحديث عن الإرهاب أو وصف العالم الإسلامي أو بعض مناطقه.

٢- دراسات متخصصة في سياسات التعليم ونظمه في بعض بلدان العالم الإسلامي.

ومن أهم الدراسات المتخصصة ما يلي:

أ- تعليم لمرحلة جديدة: وضع خطة لتطوير التعليم في قطر من رياض الأطفال حتى الصف الثاني عشر وتطبيقها، أعدها (دومينيكا جي بروير) وآخرون. ونشرت عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ونشر ملخص عنها باللغة العربية.

ب- مواجهة تحديات رأس المال البشري في القرن الحادي والعشرين: التعليم ومبادرات سوق العمل في لبنان، وعمان، وقطر، والإمارات العربية المتحدة. أعدها مجموعة من خبراء (راند) بمبادرة ذاتية من المؤسسة، ونشرت عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

ج- عدة دراسات عن التعليم بعد الثانوية في قطر، نشرت عامي ١٤٢٨-١٤٢٩هـ/٢٠٠٧-٢٠٠٨م.

ويحتوي هذا المبحث على مطلب في تعريف التعليم، وأهمية التعليم الإسلامي، وستة مطالب أخرى، تتناول موقف (راند) من التعليم الإسلامي ورؤيتها له، من حيث علاقته بالعنف والتطرف، والمطالبة بتغيير التعليم الإسلامي، وبتعليم اللغة الإنجليزية، وموقفها من الدعم السعودي للتعليم الإسلامي في الخارج، ورؤيتها للتعليم في المملكة العربية السعودية، والتعليم في قطر.

## المطلب الأول: تعريف التعليم، وأهمية التعليم الإسلامي:

### ١- تعريف التعليم في اللغة العربية:

التعليم من الأصل الثلاثي (علم)، وقد جاءت معانيه في اللغة العربية على عدة معان، يدور ما يتعلق بمعناها في هذا المبحث على: المعرفة، والإتقان. يقال: عَلِمَهُ، أي: عَرَفَهُ. وتَعَلَّمَ الأمر: أَتَقَنَهُ<sup>(١)</sup>. «والعلم: نقيض الجهل»<sup>(٢)</sup>.

### ٢- تعريف التعليم في الاصطلاح:

عُرِّفَ التعليم في الاصطلاح بأنه: ضبط القواعد والأساليب للمتعلم، بحيث تبلغ به إلى الثمرة المطلوبة من المعارف التي يزاؤها<sup>(٣)</sup>. ويُعرَّف أيضًا بأنه: «عملية اتصال منظم تهدف إلى إحداث التعلم، حيث يسعى المعلم دائماً إلى زيادة التفاعل بينه وبين المتعلم من خلال المواقف الاتصالية التي يرسم لها أهدافاً إجرائية، أي: يصممها وينفذها ويقومها»<sup>(٤)</sup>.

### ٣- أهمية التعليم الإسلامي:

التربية والتعليم من أهم - إن لم يكونا أهم - عناصر وجود الأمم، الذي من خلاله تعلو أو تهبط حضارياً؛ ولذا تفرع الأمم إليهما كلما شعرت بالتفسخ أو فقدان المناعة أمام غيرها، أو التراجع الحضاري<sup>(٥)</sup>.

التربية والتعليم، مما بُعث به الرسول ﷺ، وقد امتن الله تعالى على عباده بهذا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

(١) الصحاح ٥/١٩٩٠-١٩٩١؛ والقاموس المحيط، ص ١٤٧١-١٤٧٢؛ ولسان العرب ١٢/٤١٨، مادة: (علم) في الجميع.

(٢) لسان العرب ١٢/٤١٧، مادة: (علم).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢/١٦١.

(٤) وسائل وتكنولوجيا التعليم، د. أحمد محمد سالم، ط ٢، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ)، ص ١٧.

(٥) تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة للزبيدي، ص ٢٣٣.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾.

« فتلاوة الآيات على الصحابة، وتزكيتهن نفسياً وعقلياً وجسدياً، وتعليمهم الكتاب، وتعليمهم الحكمة، كلها عناصر تعليم تربوي استطاع به النبي ﷺ تكوين جيل نموذجي في كل جوانب إنسانيته، لم يصل إلى مستواه أي جيل تالٍ على الرغم من توسع الثقافة، وتهيؤ الإمكانات»<sup>(٢)</sup>.

وصف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أهل ذلك الجيل بأنهم: «كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا ينبغي أن يكون التعليم الإسلامي، مقتدياً بالنبي ﷺ، سائراً على نهجه، في رسم السياسات، ووضع الأهداف، وبناء المناهج والمقررات، وفي تكوين المعلمين والمعلمات. و«الأمة الإسلامية ذات دين وعقيدة خاصة، فلا بد أن يكون نظام التعليم والتربية عندها خاضعاً لهذا الدين وتلك العقيدة. ومن هنا تكون مسألة التربية والتعليم في العالم الإسلامي مسألة مستقلة، ذات أبعاد خاصة، وخطوط واضحة»<sup>(٤)</sup>.

وينبغي على من يقومون بوضع السياسة التعليمية «أن يجعلوا من أول أهداف التعليم الذي يُشرفون عليه ويُشعّون مؤسساته: تربية أجيال تؤمن بالله، وبرسله، وباليوم الآخر، وتدين دين الحق، وتتخلق بأخلاق الإسلام، وتقيم شريعة الله في الأرض، كما هي مبينة في كتاب الله وسنة رسوله المصطفى ﷺ»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة للزنيدي، ص ٢٣٤.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط ٦، (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ)، ٩٤٧/٢، أثر ١٨١٠.

(٤) التربية والتعليم في الدول الإسلامية خلال القرن ١٤: من التبعية إلى الأصالة، حمد بكر العليان، (القاهرة، دار الأنصار، ١٤٠٠هـ)، ص ١١.

(٥) غزو في الصميم، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، سلسلة أعداء الإسلام (٥)، ط ٤، (دمشق، دار دار القلم، ١٤١٧هـ)، ص ١٥-١٦.

«إن هدف التعليم الإسلامي هو: تنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته، ويعمر الأرض وفق شريعته، ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه»<sup>(١)</sup>.

لذا، فإن من يعادي التعليم الإسلامي القائم على الأسس الصحيحة فإنما يعادي العقيدة الإسلامية، والشريعة الإسلامية، ويعادي تنشئة الإنسان الصالح. وقد وجد باحثٌ دَرَس الانتقادات الموجهة إلى المقررات الإسلامية في التعليم العام السعودي: أن بعض النقد الذي وجه إلى بعض مقررات التعليم في المملكة «في واقع الأمر ليس نقدًا موجهًا إلى المقرر، بقدر ما يكون موجهًا إلى معتقد أهل السنة، وإن كان جام الغضب قد صُب على المقرر»<sup>(٢)</sup>.

«وقد تنوعت وسائل أعداء الإسلام في حربهم الثقافية ومعاركهم الفكرية ضد الإسلام وأهله.

ولكن من أمضى أسلحتهم فتكا، وأقواها تأثيرًا، وأشدها وقعًا، وسيلة التعليم؛ لما لها من أثر كبير في صياغة الشخصية، وتشكيل الفكر، والتحكم في التوجهات والتصورات.

لذا سعت القوى الاستعمارية والتيارات المناوئة للإسلام إلى إنشاء المدارس الأجنبية والمحاضن التربوية التي تخرج جيلًا ممسوخًا، لا يحمل هوية، ولا يعتز بثقافة، ولا يرتبط بدين»<sup>(٣)</sup>.

وكذا الصهيونية العالمية تحاول أن تمسك بزمام السيطرة على العملية التعليمية، جاء في البروتوكولات الصهيونية: «إن لنا يدًا في حق الحكم، وحق الانتخاب، وسياسة الصحافة، وتعزيز حرية الأفراد، وفيما لا يزال أعظم خطرًا وهو التعليم الذي يكون الدعامة الكبرى للحياة الحرة»<sup>(٤)</sup>.

(١) مقدمة توصيات: المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي، المنعقد في مكة المكرمة في الفترة من ١٢ إلى ٢٠/٤/١٣٩٧هـ، "المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي"، سكرتير التحرير، مجلة كلية التربية، جامعة الملك عبد العزيز، مج ٣، ع ٣، (١٩٧٩م)، ص ٢٣٩.

(٢) الأمن الفكري في مقررات التوحيد في المرحلة الثانوية: دراسة تحليلية، أيمن بن عبد الله العليان، رسالة ماجستير غير منشورة، (الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٣١-١٤٣٢هـ)، ص ٣٨٩.

(٣) المدارس الأجنبية في الخليج: واقعها وآثارها: دراسة ميدانية تحليلية، عبد العزيز بن أحمد البداح، (د.م، د.ن، ١٤٢٩هـ)، ص ١٣.

(٤) الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي، (القاهرة، دار التراث، ١٩٧٧م)، ص ١٩٣، البروتوكول التاسع.

## المطلب الثاني : التعليم الإسلامي والعنف والتطرف:

قام عدد من المراكز الغربية والأمريكية، وفريق من الباحثين، بتصوير المدارس الإسلامية على أنها خطر على الأمن العالمي، وأن لها علاقة بالعنف والعمل المسلح، وأن الطلاب الدارسين في هذه المدارس لهم علاقة بالأعمال الإرهابية، وأنها تمثل تهديدًا مباشرًا لمصالح الدول الغربية؛ وتبعهم في هذا التحني مجموعة من أهل البلاد الإسلامية<sup>(١)</sup>، ممن دأبوا على ترديد الشعارات والأفكار الغربية دون تبين ولا تمحيص. وكانت (راند) وبعض باحثيها إجمالاً ضمن هذا التوجه. تشير دراسة لـ(راند) عن باكستان إلى أن هناك اهتمامًا كبيرًا بشأن المدارس الإسلامية في باكستان في المناقشات الغربية، وقد جرى تصويرها في بعض الأحيان بأنها بؤر للتطرف. وتعترف الدراسة بأن الدراسات الحديثة أظهرت أنه ليست هناك علاقة بين المدارس الإسلامية وتجنيد المتشددين، كما كان يعتقد سابقًا. كما تعترف بأن اعتقاد أن غالبية المدارس الإسلامية تعدُّ أساسًا لتدريب الإرهابيين، ليس له أساس في الواقع<sup>(٢)</sup>.

لكن الدراسة تنتكس عندما حاولت الادعاء بأن المدارس الإسلامية تميل إلى دعم العنف، عند مقارنتها بالمدارس الأخرى. ثم تعود إلى الحقيقة الواقعية، وهي أن هذا لا يعني بالضرورة أن المدارس الإسلامية تنشر الأفكار المتشددة<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يظهر الهوى عندما يحاول باحثو (راند) إثبات الحقيقة العلمية، ثم يُعكروا صفوها بالادعاءات الباطلة!

(١) واقع المدارس الدينية الأهلية في باكستان، د. مصباح الله عبد الباقي، سلسلة دراسات معاصرة (٢٢)، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ)، ص ٨-٩، ١٢٧.

(٢) Pakistan: Can the United States Secure an Insecure State? C. Christine Fair, Keith Crane, Christopher S. Chivvis, Samir Puri, Michael Spirtas, (Santa Monica, Rand, 2010). P. 70-71.

وقد اعتمدت الدراسة في نفي التهمتين على مرجعين صدرا عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

كما اعترفت دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) بأن التصور الشائع بوجود علاقة بين المدارس الإسلامية في باكستان وبين الإرهاب ليس دقيقًا تمامًا. The Muslim World after 9/11. P. 275.

(٣) Pakistan: Can the United States Secure an Insecure State? P. 71

إن استمرار مقاومة الشعوب الإسلامية في أفغانستان والعراق، لقوى الاحتلال الأمريكي ومن معه من الدول الغربية، أمر أقض مضاجع الغربيين؛ ولذا سعى بعض الباحثين في (راند) وغيرها إلى دراسة كيفية القضاء على جذور المقاومة في البلدان الإسلامية بعامة، وخرجوا من ذلك بعدة أفكار، كان منها : التأثير في التعليم الإسلامي، وتغييره؛ فالجهاد وإن كان من شعائر الإسلام العظمى، وذروة سنامه، ينبغي أن يُهجر تعليم أحكامه في المدارس أو الإشارة إليه فيها؛ وعقيدة البراء من المشركين ينبغي أن تعطل وتلغى؛ وبذلك تصبح أي دولة إسلامية يريد الغرب غزوها واحتلالها مستقبلاً، سهلة المنال، سريعة التحول والانقياد للمشاريع الغربية.

ولذا حذّرت بعض دراسات (راند) من تدريس تلك الشعيرة وتلك العقيدة. جاء في ملحق دراسة (بسط مستقبل الحرب الطويلة): المدارس الإسلامية في مصر أساس أنموذجي لتجنيد الفكر الجهادي السلفي<sup>(١)</sup>.

وينقل خبير (راند) (بيتر تشوك): أن ما لا يقل عن خمسين مؤسسة تعليمية في جنوب تايلند، تقوم بتجنيد الطلاب وتدريبهم على الجهاد<sup>(٢)</sup>.

وأشار خبير (راند) (جنكينز) إلى أن التجنيد للجهاد قد ينطلق مع الطلاب الصغار في المدارس الإسلامية، حيث تكون كراهية الكفار جزءاً من المناهج الدراسية<sup>(٣)</sup>.

ويرى أحد خبراء (راند) في ورقة إحاطة قدمها أمام لجنة الإصلاح الحكومي في مجلس النواب في الولايات المتحدة عام ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م: أنه لن يتحقق الأمن للولايات المتحدة من الجهاد العالمي بمجرد إلقاء القبض على المجاهدين أو قتلهم؛ فلا بد للولايات المتحدة من العمل على المدى الطويل، بالتركيز على الجيل الجديد من الشباب الذين يدرسون في المدارس الإسلامية في وسط شرق آسيا وجنوبها، والذين ربما يحلون في وقت قريب محل التنظيمات

(١) Unfolding the Future of the Long War. P. 132-133, Appendix A

(٢) The Malay-Muslim Insurgency in Southern Thailand. P. 13

(٣) Unconquerable Nation. P. 85

والمعسكرات في أفغانستان. ويؤكد الخبر بأن منع تطور الجيل القادم من المجاهدين هو مهمة حيوية للحد من نطاق الحركة الجهادية العالمية، والتغلب عليها في نهاية المطاف<sup>(١)</sup>.هـ.

لذا كان من المرجح -في رأي الباحث- أن محاولات إيجاد علاقة بين التعليم الإسلامي والإرهاب أو التطرف هي من أجل إيجاد مدخل إلى التأثير في السياسة التعليمية في البلدان الإسلامية، بانتزاع معرفة أعدائها من مناهجها واجتثاث عقيدة البراءة منهم، وزرع الولاء للمستعمر فيها. في زمن أصبح الاستعمار فيه عن بُعد كما هو عن قرب. فعناية الغزاة بالتعليم في بلدان الشعوب المغزية هي لإيجاد جيل مُوالٍ للغازي ومبادئه. يقول عبد الرحمن الميداني رحمه الله: «والمستعمرون إذا أرادوا وضع سياسة تعليمية لبلد يخضع لسلطان دولتهم المتسلطة المستعمرة، فإنهم يجعلون من أول المواد التي يقررونها في هذه السياسة التعليمية: تربية جيل يدين لهم ولقومهم بالولاء والطاعة، وينسلخ عن ولائه لدينه أو لقومه، وينصهر بالتدرج في قومية ودين الشعب الغالب المستعمر، ويتقمص بالتدرج كل مفاهيم هذا الشعب المستعمر وأنواع سلوكه الفردي والاجتماعي، حتى لا يجد في نفسه حرجاً من أن يكون مسخراً مستذلاً، منهوب الذات والأرض والثروات والكرامة، لهذا الشعب الغالب المستعمر، مهما طال زمن الاستعمار»<sup>(٢)</sup>.

وقد دأب الاستعمار السابق في المغرب العربي، وشبه القارة الهندية، وغيرهما، على القضاء على التعليم الإسلامي، وجعل التعليم فيها يقوم على نظم علمانية، تهدف إلى تربية الولاء الكامل للمستعمر. ثم بان أن للنظم العلمانية أثراً في تخريج متخرجين علمانيين مستغربين، اتجه ولاؤهم للغرب، وانسلخ من الولاء للإسلام والمسلمين انسلاخاً كلياً أو جزئياً<sup>(٣)</sup>.

(١) Combating Terrorism: The 9/11 Commission Recommendations. P. 14-15

(٢) غزو في الصميم، ص ١٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٠-٣٥.



ويكون -أيضاً- الأثر العام لذلك على التربية والتعليم سيئاً، حيث "يعتقد بعض التربويين أن من الأسباب الرئيسية لأزمة التعليم المعاصر فقدانه للتربية الدينية، وتحلي المجتمعات المعاصرة -بصفة عامة- عن الدين"<sup>(١)</sup>.

وتقف (راند) ضد التعليم الإسلامي أيضاً؛ لأن التعليم الإسلامي يجعل الناس -فيما بعد- أكثر تقبلاً للجماعات الإسلامية وسياساتها، كما صرحت به دراسة (راند): (حركة كفاية)<sup>(٢)</sup>. فمن أسباب صرامة الغرب الآن ضد التعليم الإسلامي، أن الغرب توجه بقوة وإصرار إلى تحويل البلدان الإسلامية إلى بلدان ديمقراطية، وفي الديمقراطية ستتصارع الجماعات والأحزاب الموالية للغرب مع الجماعات والأحزاب الإسلامية في التنافس للوصول إلى السلطة؛ والفيصل في هذا نتائج الاقتراع. فالهدف هنا من الوقوف ضد التعليم الإسلامي هدف سياسي، يرمي إلى ضمان فوز الموالين للغرب، ينطلق من خلال مقاعد الدراسة، وذلك بصياغة عقول الدارسين، وتوجيه ميولهم، ودفع توجهاتهم نحو القيم والمثل الغربية، وهو ما يعبر عنه بعض التربويين بـ "تكريس التبعية، أو صناعة التبعية"<sup>(٣)</sup>.

ويخلص هذا المطلب إلى أن محاولة وصف التعليم الإسلامي بأنه منتج للإرهاب أو العنف، أو منتج للتطرف، تهدف إلى إيجاد مبرر للتدخل الاستعماري الغربي في تغيير التعليم الإسلامي، أو التضييق عليه ومزاحمته، وهذا ما سيزيد بيانه المطلب التالي.

(١) أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، أ.د. زغلول راغب النجار، (د.م)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦هـ، ص ٧٠.

(٢) ينظر: The Kefaya Movement. P. 42

(٣) "الاستراتيجيات التربوية لمقاومة التربية الاستعمارية: أمودجا ابن باديس والبيحاني"، د. عبد الكريم حسان قائد أسعد، العلوم التربوية، مصر، مج ١٨، ١٤، (٢٠١٠م)، ص ٣٨.

### المطلب الثالث : تغيير التعليم الإسلامي:

أكثر دراسات (راند) العامة تأكيداً على قضية تغيير التعليم الإسلامي في العالم الإسلامي دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) الصادرة عام ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م، فقد حذرت من النظم التعليمية في الشرق الأوسط؛ حيث تمثل -بزعمها- تربة خصبة لظهور (الحركات الأصولية المتطرفة). وتشير إلى أن الحكومات (الاستبدادية) ليس لديها الاستعداد للتغيير، وتوصي بأن تتدخل الولايات المتحدة بالضغط عليها لبدء (الإصلاح)، وألا تُلقي بالاً لاحتجاجات هذه الحكومات. وأكدت على أن هذا (الإصلاح) المطلوب في التعليم وغيره، يعدّ هدفاً استراتيجياً للولايات المتحدة على المدى البعيد<sup>(١)</sup>.

وترى «أن كثيراً من العلماء المسلمين (المعتدلين) والناشطين السياسيين يعتقدون أن مستقبل (الإسلام السياسي) سيتقرر في المدارس، فنظام التعليم الوثيق الصلة بالعالم الحديث سيُخرج من يستطيع العمل في وظائف إنتاجية في الاقتصاد المتعولم، ويمكن أن يعزز (الاعتدال) الديني، والاستقرار السياسي. لكن المدارس الدينية التي تقدم خريجين (ملقنين) بالتفسير (الضيق) للنصوص الإسلامية، وبدون مهارات مميزة سوف تستمر في تقديم الأرض الخصبة للمنظمات (المتطرفة والعنيفة)»<sup>(٢)</sup>.

وتقول: «تعزيز (إصلاح) التعليم عنصر مهم من عناصر تكوين الاستراتيجية للعالم الإسلامي... هناك حاجة ملحة للولايات المتحدة وغيرها من البلدان المعنية والمؤسسات الدولية لدعم (إصلاح) المدارس الدينية؛ لضمان أن تكون هذه المدارس قادرة على توفير التعليم الحديث. وهذا (الإصلاح) هو المفتاح لكسر دائرة المدارس (المتطرفة) المنتجة لوقود الجماعات الإرهابية والمتطرفة»<sup>(٣)</sup>.

(١) The Muslim World after 9/11. P. 142

(٢) المرجع السابق: P. 62

(٣) نفسه.

وتتحدث عن تحديث التعليم الإسلامي وتحسينه، وتقول: «هناك اتفاق واسع بين العلماء في جنوب شرق آسيا، وبين الباحثين الغربيين، بأن حرب الأفكار بين الإسلام (المعتدل) والإسلام (المتطرف)، سيُكتب لها الفوز أو الخسارة على أرض المعركة التعليمية»<sup>(١)</sup>.

وترى أن «التعليم أحد أهم ميادين المعارك بين العلمانيين وبين مؤيدي الدولة والمجتمع القائمين على الأساس الديني... فالقضية الحاسمة في معظم الدول الإسلامية: كيفية تقليص الفجوة الثقافية والفكرية بين المثقفين من ذوي التعليم الإسلامي، والمتعلمين على التقاليد الغربية العلمانية»<sup>(٢)</sup>.

وتوصي -في الشأن الإندونيسي- أن يكون من الأولويات تمويل التعليم والبرامج الثقافية التي تنظمها منظمات علمانية أو (معتدلة)؛ للتصدي لنفوذ المدارس والمؤسسات الإسلامية (المتطرفة)<sup>(٣)</sup>.

ويشير جدول إحصائي عرضته دراسته (الحرب بوسائل أخرى) إلى أن الولايات المتحدة لا تمتلك القدرة على تغيير التعليم في العالم الإسلامي، ولكنها تستطيع ذلك عبر الشركاء<sup>(٤)</sup>، والشركاء هم المنظمات الدولية المختلفة<sup>(٥)</sup>.

وفعلاً قامت الولايات المتحدة وبعض المنظمات الدولية بهذه المهمة في بعض البلدان، وبخاصة في باكستان، ففي عام ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧ م قامت الولايات المتحدة بتقديم مئة مليون دولار لمدة خمس سنوات؛ لدعم برنامج الحكومة الباكستانية في (تحسين) التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية. وأُعلن في نفس العام عن دعم البنك الدولي بقروض تصل إلى مليار دولار أمريكي لدعم التعليم في باكستان<sup>(٦)</sup>.

(١) نفسه: P. 410

(٢) نفسه: P. 61

(٣) نفسه: P. 409

(٤) War by Other Means. P. 252

(٥) المرجع السابق: P. 314

(٦) Pakistan: Can the United States Secure an Insecure State? P. 170, 173

وفي ورقة إحاطة قدمتها خبيرة (راند): (كريستين فير) إلى لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب في الولايات المتحدة عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دعت فيها إلى أن يكون التعليم في باكستان من الأولويات في السياسة الأمريكية<sup>(١)</sup>.

وفي إحاطة أخرى لها قدمتها عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م أمام نفس اللجنة، تناولت فيها (إصلاح) النظام التعليمي في باكستان، والمناهج الدراسية، وترى: أنه من المرجح أن تُقاوم جهود هذا الإصلاح بشدة، وتُقترح أن تركز جهود (إصلاح) التعليم على تعزيز مبادرات دعم مدارس القطاع الخاص، التي تمثل ٣٠٪ من المدارس في باكستان<sup>(٢)</sup>.

وهذا التركيز على استهداف التعليم الإسلامي في باكستان يقود إلى التعريف بواقع التعليم الإسلامي فيه<sup>(٣)</sup>:

يبلغ عدد المدارس التي تقدم التعليم الإسلامي في باكستان نحو (١٣,٠٠٠) مدرسة، يرتادها أكثر من مليون طالب، وتقدم الخدمات التالية:

١- التعليم المجاني في الغالب، لكافة مراحل التعليم، من الابتدائي وحتى المرحلة العالية (الماجستير).

٢- الإرشاد الديني، وإصدار الفتاوى الشفهية والمكتوبة.

٣- إعداد البحوث والدراسات.

٤- إصدار المجلات الإسلامية.

٥- توفير الأئمة والخطباء للمساجد.

٦- توفير المدرسين والأساتذة للمدارس الدينية وللدراسات الإسلامية.

ويرى الباحث أن هذه الأعمال التي تقوم بها المدارس الإسلامية في باكستان تضطلع بها عدة وزارات في بلدان أخرى؛ ولذا فلا يعجب المرء من الاستهداف الغربي الموجه ضد التعليم

(١) U.S.-Pakistan Relations: Assassination, Instability. P. 13

(٢) From Strategy to Implementation: The Future of the U.S.-Pakistan Relationship, C. Christine Fair, (Testimony), (Santa Monica, Rand, 2009). P. 2.

(٣) واقع المدارس الدينية الأهلية في باكستان، ص ٦٤-٦٦.

الإسلامي في باكستان. وبخاصة أن الأحداث مؤخرًا قد أثبتت وقوف الغرب ضد أي عمل إسلامي مؤسسي قوي الانتشار.

والمدارس الإسلامية في باكستان منذ عشرات السنين وهي تدرس مناهج معروفة ومعلنة، وليست سرية، والكتب التي تدرسها قد كان يدرسها أمة من المسلمين منذ قرون، إلا ما كان تأليفه حديثاً<sup>(١)</sup>.

ومع الإقرار بأن الجهاد من ثوابت الدين بالضرورة، إلا أن المدارس الإسلامية الباكستانية كانت بعيدة كل البعد عن النشاط الجهادية في أفغانستان أثناء الغزو السوفيتي، وكل الادعاءات التي قيلت في ذلك من الغربيين أو الشرقيين من أن بعض تلك المدارس أنشئ للتدريب العسكري والتدريب على استعمال السلاح، أو أن بعضها كان يشارك في دعم الجهاد عن طريق تشجيع طلاب هذه المدارس على المشاركة في القتال ضد القوات السوفيتية الغازية، وأن بعض المدارس قامت بإنتاج أدبيات تشجع على الجهاد؛ كل هذا الادعاءات لا صلة لها بالواقع. بل على العكس فقد كانت المدارس الإسلامية الباكستانية متهمه بالتقصير في أمر الجهاد ضد القوات السوفيتية في أفغانستان، وكان بعض المشاركين في الجهاد الأفغاني ضد السوفييت يشكون من قلة عناية المشايخ وطلاب المدارس الإسلامية في باكستان بأمر الجهاد الأفغاني، حتى إن الطلاب الأفغان الذي كانوا يدرسون في المدارس الباكستانية كانوا أقل رغبة في الجهاد من عامة أفراد الشعب الأفغاني<sup>(٢)</sup>. «إلى جانب ذلك، يخلو المنهج الدراسي المتبع في المدارس الدينية من المواد التي تشجع الناس على العمل المسلح وتحرض على الجهاد في سبيل الله؛ فإن طلاب المدارس الدينية لا يدرسون تاريخ الحركات الجهادية، ولا يدرسون الفكر

(١) تنظر المناهج والكتب: المرجع السابق، ص ٧٥-٨٩.

(٢) نفسه، ص ١٢٨-١٢٩. "والمؤلف اطلع شخصيًا على أحوال المدارس الدينية في مختلف المناطق الباكستانية من إقليم سرحد وبلوشستان وبنجاب وإقليم السند حتى كشمير، أثناء فترة الجهاد في الثمانينيات من القرن الماضي [الميلادي]، وبقي مرتبطًا ببعض تلك المدارس، فلم يجد لدى طلابها ولا مدرسيها أي اهتمام بالجهاد ولا المجاهدين، بل كانت تُتهم دائمًا بالإهمال في أمر الجهاد". نفسه، ص ١٣٠.

الإسلامي المعاصر، ولا يدرسون فقه الجهاد بصورة مستقلة، ولا يطلعون على أوضاع المسلمين المضطهدين في عدة مناطق من العالم عن طريق مادة يدرسونها ولا عن طريق وسائل الإعلام... في أغلب المدارس الدينية<sup>(١)</sup>.

وهذه النتيجة تؤكد -في رأي الباحث- تغليب الهدف السياسي من الاستهداف الغربي الموجه ضد التعليم الإسلامي؛ من أجل التهيئة إلى التحول الديمقراطي، وتعظيم الأصوات غير الإسلامية خلال الانتخابات. فالمدارس الإسلامية في باكستان لا علاقة لها ألبتة بالإرهاب، كما أن نشرها لفقه الجهاد ضعيف جداً. ومع اعتراف الدراسات الغربية مؤخراً ببراءة التعليم الإسلامي في باكستان من الإرهاب، إلا أن مشاريع تغيير التعليم في باكستان استمرت في العمل وفق جداولها السابقة؛ وهذا يؤكد أيضاً غلبة الهدف السياسي.

«لا شك أن الوضع الحالي للمدارس الدينية [في باكستان] ليس مقنعاً، بل يحتاج إلى التغيير نحو الأفضل؛ لأن المدارس الدينية تعاني من مشكلات عديدة ومتنوعة، وبخاصة تلك المشكلات التي تتطلب حلاً جذرياً. فالمدارس لا تقدم للمجتمع الفرد الذي يتطلبه العصر الحاضر، فيكون عالماً بدينه بصيراً بدينه؛ ليتمكن من قيادة المجتمع نحو دين الله في جميع نواحي الحياة<sup>(٢)</sup>. فهي تحتاج إلى دعم وإصلاح يسير معها في الوجهة الصحيحة، وليس (إصلاحاً) يضادها ويضعفها.

ويستمر خبراء (راند) في محاولة تغيير التعليم الإسلامي في العالم الإسلامي بأجمعه، وإضعافه، ومزاحمته بتعليم حديث، حيث تقترح (بينارد) بعض المقترحات لمجابهة (الأصوليين)، وكسر احتكارهم التعريف بالإسلام وشرح مبادئه، ومن مقترحاتها:

١- «القيام بتشجيع انتقائي لكل من يبدو أكثر تماشيًا نسبيًا مع المجتمع المدني الحديث. فعلى سبيل المثال: تكون بعض كليات الشريعة الإسلامية أكثر انقيادًا لآرائنا حول العدالة من كليات أخرى<sup>(٣)</sup>.

(١) نفسه، ص ١٣١.

(٢) نفسه، ص ١١٦-١١٧.

(٣) إسلام حضاري ديمقراطي، ص ٥٩.

٢- تشجيع العلماء (الحداثيين/ العصريين) على كتابة كتب دراسية، ووضع مناهج تعليمية<sup>(١)</sup>.

٣- تشجيع التوعية بالتاريخ والثقافة لما قبل الإسلام، ولغير الأمة الإسلامية، في وسائل الإعلام والمناهج التعليمية في الدول المعنية<sup>(٢)</sup>.

٤- تقول: «لا يمكن التأثير بسهولة على البالغين الملتزمين المنتسبين إلى الحركات الإسلامية (المتطرفة) ودفعهم إلى تغيير آرائهم، إلا أنه يمكن التأثير على جيل الشباب في حال أُدرجت رسالة الإسلام الديمقراطي في المناهج التعليمية الدراسية ووسائل الإعلام العامة في الدول المعنية.

بذل (الأصوليون المتطرفون) جهودًا جمّة لفرض سطوتهم على التعليم ويبدو أنهم غير مستعدين على الأرجح للتخلي عن قواعدهم هذه دون الدخول في معارك. ولذلك لا بد من بذل جهود بنفس القوة والزخم لانتزاع هذه المنطقة منهم»<sup>(٣)</sup> هـ.

وسبب المطالبة بالتوعية بتاريخ ما قبل الإسلام: محاولة لكي ينبهر الشباب المسلم بتلك الحضارات البائدة، وينسى حضارته الإسلامية الأصيلة، التي يحاول الأعداء طمس أخبارها، وتشويه حقائقها، فلا يُعجّب الشاب إلا بتلك الحضارات<sup>(٤)</sup>.

وقضية إحياء التواريخ السابقة عن الإسلام قضية غني ببثها الاستعمار السابق، حتى حوّلت العقول إلى الأبحاد القديمة السابقة عن الإسلام في شتى نواحي الحياة، من عمارة،

(١) المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) نفسه، ص ٧٢، الملحق (ج).

(٣) نفسه، الموضع نفسه.

(٤) ينظر: الإسلام والحضارة الغربية، ص ١٤٠-١٤١؛ والثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري وسبل تلافيها، د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي، (المدينة المنورة وسوريا، مكتبة العلوم والحكم، ودار العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ)، ص ١٣.

وتصوير، وغناء، ولغة، وأدب، وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

إن مزاحمة التعليم الإسلامي بتعليم دنيوي، يُعد في حد ذاته طريقة من طرق التأثير على التعليم الإسلامي، وسحب ثلة من طلابه. وكلما ازداد التعليم الدنيوي ازداد تأثر التعليم الإسلامي بالنقص. ولا يعني هذا أن يرفض المسلمون التعليم الدنيوي، بل هو من فروض الكفاية، لكن الخطر أن تتحول جل عنايتهم به.

فالمسلمون لم يعرفوا داخل مدارسهم تقسيم التعليم إلى ديني ودنيوي، وإنما انتقلت عدوى هذا الفصل إلى بلاد المسلمين من النظم التربوية العلمانية؛ وأدى هذا الفصل إلى عزل العلوم الدينية عن ركب الحياة، ومشاكلها، وتطورها، مما زهّد الناس فيها، ودعاهم إلى هجرها<sup>(٢)</sup>؛ كما أدى هذا الفصل إلى عزل دارسي العلوم غير الدينية عما ينفعهم في معرفة دينهم وإقامته.

إن التعليم ذا النظم العلمانية، التي تعزل الدين عن الحياة، أحد العوامل الأربعة التي انتجها اليهود، وفرضها النفوذ الاستعماري على العالم الإسلامي بعد احتلاله والسيطرة عليه<sup>(٣)</sup>.

فقد كان من أبرز عناصر الغزو الفكري الاستعماري على مصر خلال القرن الثالث عشر الهجري: إيجاد تعليم بعيد عن التعليم الديني في مضمونه عامة<sup>(٤)</sup>.

وكان من طريقة الاستعمار الإنجليزي لمصر والهند: حصار التعليم الإسلامي مادياً ومعنوياً، عن طريق فتح التعليم ذي النظم العلمانية في مواجهته، مع تضيق الموارد المالية على التعليم الإسلامي، وإغداقها على النظم العلمانية. والقيام بالسخرية بطالب العلم الشرعي، وبأساتذته؛

(١) ينظر: الإسلام والحضارة الغربية، ص ١٠٤، ١٤١؛ وسقوط العلمانية، أنور الجندى، (بيروت، دار

الكتاب اللبناني، ١٣٩٣م)، ص ٢٧.

(٢) أزمة التعليم المعاصر، ص ١٤٤-١٤٥؛ وينظر: مجالات انتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي،

د. محمد زين الهادي، (الرياض، دار العاصمة، ١٤٠٩هـ)، ص ١٤، ٣٢.

(٣) سقوط العلمانية، ص ١٧.

(٤) الغزو الفكري في مناهج التعليم في مصر والمغرب في القرن ١٣/١٤هـ: العلوم الإنسانية، محمد

أمين بن إدريس السماعيل، رسالة دكتوراه غير منشورة، (مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز،

١٣٩٩-١٤٠٠هـ)، ص ٨٢.



للتنفيذ من التعليم الإسلامي. والقيام بتمكين خريجي النظم العلمانية من الوظائف المرموقة، ذات الأجر العالية، أما وظائف خريجي التعليم الشرعي فإنها وظائف متواضعة في الأجر والمظاهر؛ ويتسبب كل ذلك في اللاوعي؛ فيقبل الناس على التعليم الديني ويعزفون عن التعليم الشرعي، وينفرون من الدين، ويقبلون على غير الديني<sup>(١)</sup>.

وهل نجاح التعليم ذو النظم العلمانية في نهضة العالم الإسلامي وتقدمه؟  
يُثبت الواقع الإجابة بالنفي. ويعزو بعض التربويين «فشل النظم التعليمية المعاصرة إلى انقطاعها عن الحياة وعن المجتمع ومشاكله، وانشغالها بقضايا تجريدية نظرية، ونسيان وظيفتها الأساسية وهي إعداد الطفل ليصبح إنسانًا ينهض بمسؤولياته في الحياة»<sup>(٢)</sup>.  
«وبينما يقصر الصلاح في نظم التعليم اللاديني المعاصر على مقدار النفع المادي الذي يمكن أن يعود على الفرد أو على المجتمع الذي يعيش فيه من اكتسابه لقدر من المعلومات أو المهارات، فإن التربية الإسلامية تضع الصلاح في إطار يشمل كل الجوانب المادية والمعنوية في الكون»<sup>(٣)</sup>.

ويتضح من هذا المطلب أن رؤية (راند) في تغيير التعليم الإسلامي تقوم على ثلاثة أمور:  
١- التركيز على التعليم البديل عن التعليم الإسلامي؛ وذلك يؤدي إلى إيجاد جيل ينشأ بعيدًا عن المعرفة المتكاملة بأصول الإسلام، ويكون هذا الجيل نواة الحكومات الجديدة في العالم الإسلامي الديمقراطي الجديد، وأساس دعمها انتخابيًا ووظيفيًا.

٢- يولي التركيز على البديل عن التعليم الإسلامي: محاولة تغيير التعليم الإسلامي نفسه. فهما إذن مساران، إذا تعثر أحدهما سار الآخر؛ لأن العمل على تغيير التعليم الإسلامي قد لا يكون واقعيًا بالصورة المطلوبة، لذا كان المساند لتعذر تغييره أو البطء في تغييره: القيام بدعم التعليم البديل الخالي من أي مقرر للتعليم الديني، أو بمقررات دينية ضعيفة أو محرفة لا تستطيع

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. علي محمد جريشة، ومحمد شريف الزبيق، (القاهرة، دار

الاعتصام، ١٩٧٨م)، ص ٦٤.

(٢) أزمة التعليم المعاصر، ص ٤٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٧.

أن تنشئ الفرد المسلم الصالح، يقوم بإعداد مناهج هذه المقررات العلماء العصرانيون كما اقترحته (بينارد).

٣- المطالبة بإحياء الثقافات والحضارات المنبثة الصلة عن الإسلام، من خلال الإعلام والتعليم؛ في محاولة لصرف الأمة عن العناية بحضارتها الإسلامية، والالتفاء بالحضارات والثقافات الأخرى، بما يؤدي إلى الإعجاب بها، ثم قبولها؛ وهذا يفضي إلى القبول بالثقافات والقيم الغربية الحديثة مهما كانت مخالفتها للإسلام.

إن المقاومة التربوية للاستعمار جهاد أصيل، وهو من أنواع المقاومة، ولا يختلف عن أي نوع من أنواع المقاومة الأخرى<sup>(١)</sup>.

فلا بد من أن يكون للمسلمين مشروع يحمل استراتيجيات تربوية لمقاومة التربية الاستعمارية، من خلال المحافظة على التعليم الإسلامي الصحيح، ودعمه وتقويته في سياسته ومناهجه ومعلميه، ومن خلال الدخول في مدارس منافسة تتفوق على التعليم الاستعماري، ومن خلال إعادة رسالة المسجد في التعليم، وتقوية مضمونها ومخرجاتها.

(١) "الاستراتيجيات التربوية لمقاومة التربية الاستعمارية..."، في: العلوم التربوية، ١٦، (٢٠١٠م)،

## المطلب الرابع : تعليم اللغة الإنجليزية:

ينقل تقرير (بناء شبكات) عن دراسة حديثة -خارج (راند)، تناولت الحرب على الإرهاب- توصيتها بـ "تقديم فرص تعليمية للشباب المسلم، وبتعزيز شديد على اللغة الإنجليزية؛ حيث تقدم المعرفة العلمية باللغة الإنجليزية نافذة على العالم بالنسبة للشباب المسلم؛ مما يتيح لهم الحصول على مصادر المعلومات العالمية بدلاً من مصادر المعلومات المحلية فقط"<sup>(١)</sup>. كما أشارت دراسة لـ(راند) عن باكستان، إلى جهود وزارة الخارجية الأمريكية في عقد دورات اللغة الإنجليزية في باكستان، في المدن وفي المناطق القبلية، بتركيز على المرأة<sup>(٢)</sup>. ويرى الباحث أن تعلّم فئات من المسلمين اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الغربية أو الشرقية له محاسن ومساوئ، فليس تعلمها شرّاً محضاً، ولا خيراً محضاً، بل يحتف به عوامل تسير به إلى الشر، أو عوامل وضوابط تسير به إلى الخير. ولا يستحب العلماء تعلّم غير اللغة العربية، وإنما يجيزون تعلم اللغة الأجنبية ضمن حد الحاجة، التي لا بد أن تقدر بقدرها، ولا يتجاوز بها الحد المطلوب، الذي تندفع به الحاجة، إلى درجة الولع باللغات الأجنبية لغير مصلحة شرعية<sup>(٣)</sup>. قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية، التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن، حتى يصير ذلك عادة للمُصَرِّ وأهله، أو لأهل الدار، أو للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمرء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه؛ فإنه من التشبه بالأعاجم»<sup>(٤)</sup>.

(١) Building Moderate Muslim Networks. P. 5, fn 6 ، نقلاً عن:

Robert Satloff, The Battle of Ideas in the War on Terror, Washington, D.C.: Washington Institute for Near East Policy, 2004, P. 60-69.

(٢) Pakistan: Can the United States Secure an Insecure State? P. 175-176.

(٣) ينظر: التربية اللغوية العربية، د.عدنان حسن باحارث، (جدة، دار المجتمع، ١٤٢٦هـ)، ص ١٢٩.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق د.ناصر بن عبد الكريم العقل، ط٢، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١١هـ)، ١/٤٦٨.

ولم يكن المستعمر غافلاً عن الارتباط الوثيق بين اللغة والفكر<sup>(١)</sup>. فالباحثون والمخطّطون والسياسيون الغربيون عندما ينشدون من المسلمين تعلم لغاتهم الغربية، فإنهم يسعون إلى تحقيق مصالح غربية، تغلب ما يمكن أن يحصل من مصالح للمسلمين من تعلمها. ومما ينتج عند التركيز على اللغة الإنجليزية في التعليم: «أنفة الشباب المسلم من لغتهم وآدابها، وزهدهم فيها حتى لا يعلموا منها إلا ما يعلمه العامي منها، وهذا سبب فعّال في تدهور اللغة العربية وحجب شيوعها واستعمالها... وهذا الوضع المزري ينتقل بالطبع إلى كل ما هو مكتوب باللغة العربية وأعظم ذلك «القرآن الكريم» الذي نزل بلسان عربي مبين، فلا يحسن قراءته فضلاً عن فهمه وتدبره»<sup>(٢)</sup>؛ فينصرف الجيل عن تراث الأمة الإسلامية المكتوب بلسانها العربي، وفي مقدمته «الكتاب والسنة»، إلى التراث الوافد المكتوب باللغة التي تلقنها وشب عليها<sup>(٣)</sup>.

ويتبع تدهور اللغة العربية - الناشئ عن انصراف أهلها عنها إلى غيرها - ضعف ثقافة الأمة، وانحيار تماسك عناصرها، وهذا يمثل تهديداً لِدَاتها، وأصول هويتها؛ لذا كان الصراع عنيفاً بين الأمم لفرض اللغة، الذي يتبعه - بالضرورة - فرض الثقافة، ثم يكون من نتاج ذلك حصول الهيمنة الفكرية للأمة المتغلّبة خارج حدود وطنها<sup>(٤)</sup>.

وذلك ما نص عليه أرباب التنصير سابقاً، يقول (لوشاتليه)<sup>(٥)</sup>: ولا شك في أن إرساليات التنصير تعجز عن أن ترحز العقيدة الإسلامية في قلوب منتحليها. ولا يحصل لها ذلك إلا

(١) "التحديات المعادية للغة العربية"، سمر روعي الفيصل، شؤون عربية، (مصر)، ٦٤ع، (١٩٩٠)، ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية: تاريخها ومخاطرها، بكر بن عبد الله أبو زيد، (القاهرة، دار ألفاء، ١٤٢٧هـ)، ص ٣٦.

(٣) المرجع السابق.

(٤) التربية اللغوية العربية، ص ٣-٤.

(٥) ألفريد لوشاتليه: مستشرق فرنسي، أول من أشرف على (مجلة العالم الإسلامي) الفرنسية، غني بالأوضاع الاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي، وبخاصة في أفريقيا الغربية والمغرب. من مؤلفاته: (الإسلام في القرن التاسع عشر)، و(الطرق [الصوفية] الإسلامية في الحجاز). توفي سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م. وقال العقيقي: ١٩٢٦م، واسمه عنده: لي شاتليه. المستشرقون ١/٢٢٨؛ وموسوعة المستشرقين، ص ٥١٧.

بيث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية. فبنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يحتك الإسلام بصحف أوروبا، وتتمهد السبل (لتقدم) إسلامي مادي. وتقضي إرساليات التنصير ثمرتها بهدم الفكرة الدينية الإسلامية، التي لم تحفظ كيائها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها<sup>(١)</sup>.

وهو تمامًا ما تريده (راند) بحسب ما نقله تقرير (بناء شبكات) آنفًا: من أنَّ تعلُّم الشباب المسلم اللغة الإنجليزية تفتح نافذة على العالم تتيح لهم الحصول على مصادر المعلومات العالمية بدلاً من مصادر المعلومات المحلية؛ فينصرفون عن التراث المحلي المبني على عقيدة الإسلام، إلى التراث الأممي العالمي المتضلع بأنواع الضلال العقدي والانحراف الفكري؛ ثم ينسلخ فئام منهم من دينهم - إن لم يكن لديهم رصيد قوي من التنشئة الإسلامية - وينقلبون ضده، يعادونه، ويسخرون من أهله. وتتكون منهم "قوى مضادة للمسلمين من أنفسهم وذرايعهم وبني جلدتهم، خلّفوا أساتذتهم الكفرة بنوبة المستعمر لبلاد الإسلام"<sup>(٢)</sup>.

ومما ينتج عن ذلك أيضًا: «إيجاد أنواع من التعددية الفكرية، والعقدية، والانتماءات المتنافرة لبث الصراع، وانفجار الانقسامات السياسية والطائفية، وفي هذا تفكيك الوحدة الإسلامية وتهديد الأمن الإسلامي بمقوماته كافة... وهذه الغايات الإفسادية هي حقيقة في الإرهاب إن كان له حقيقة، ونشر الرعب والتمرد باسم العلم والتعلم"<sup>(٣)</sup>.

وعلى العكس من ذلك، فإن اللغة الواحدة تمثل أحد أسباب توحيد الناس وتجمعهم، فمن المعلوم أن التجانس اللغوي بين شعب من الشعوب أحد أسرار النهضة والتقدم الحضاري؛ ولهذا تسعى دول الغرب المتحدثة بالإنجليزية إلى محاولة تقريب عادات النطق بين فئات شعوبها

(١) الغارة على العالم الإسلامي، ص ٨-٩.

(٢) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، ص ٣٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٤.

المتعددة، وتخليص لغتهم من الأصوات ذات الطابع المحلي الضيق، بهدف تكوين لغة قومية مشتركة، تصلح للتفاهم العام بين أبناء اللغة الواحدة<sup>(١)</sup>.

«لقد ثبت يقيناً أن تعلّم لغة أخرى هو تعلم ثقافة أخرى؛ إذ لا يمكن أن تأتي اللغة -أي لغة- مفرّغة من أصولها الثقافية والفكرية التي تنتمي إليها، وبيئتها التي نشأت فيها»<sup>(٢)</sup>.

(١) علم اللغة العام: الأصوات، د. كمال محمد بشير، ط٧، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م)،

ص١٧٣-١٧٤؛ والتربية اللغوية العربية، ص٦٢.

(٢) التربية اللغوية العربية، ص١٢٨.

## المطلب الخامس : الدعم السعودي للتعليم الإسلامي في الخارج:

تشير دراسة لـ(راند) عن باكستان إلى العلاقة القوية التي تربط المملكة العربية السعودية بباكستان، وما نتج عنها من أوجه التعاون بينهما، ومن ذلك قيام المملكة بدعم المدارس الإسلامية في باكستان<sup>(١)</sup>، وتشير دراسة أخرى لها إلى استمرار هذا الدعم إلى أن وقعت أحداث ١١/سبتمبر<sup>(٢)</sup>.

كما تشير دراسة ثالثة إلى أن حكومة المملكة العربية السعودية والأثرياء السعوديين يقومون بتمويل المدارس الإسلامية في جميع أنحاء العالم، كما يمولون -بنسبة قليلة- مدارس التعليم المدني<sup>(٣)</sup>.

وتعزو دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) ظهور التدين في تركيا خلال العقدين الماضيين إلى عدة أسباب، منها: توسع شبكة المدارس الإسلامية، التي تمول بعضها المملكة العربية السعودية وبعض الدول الأخرى<sup>(٤)</sup>.

ويرى بعض المشاركين في ورشة عمل عقدتها (راند) في (موسكو) عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م أن استمرار المملكة العربية السعودية بتقديم المساعدات التعليمية يزيد من احتمال امتداد الحركات الإسلامية<sup>(٥)</sup>.

ومن الأمور المقلقة لدى خبير (راند) (بيتر تشوك): الأموال التي تذهب من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة لبناء المدارس والكلليات الخاصة في (تاييلند)، والتي تنشر التعاليم (الوهابية المتشددة) والسلفية<sup>(٦)</sup>.

(١) Pakistan: Can the United States Secure an Insecure State? P. 117

(٢) The Muslim World after 9/11. P. 273

(٣) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 50

(٤) The Muslim World after 9/11. P. 177

(٥) Carnegie-RAND: Workshop on the Future of the Greater Middle East and the Prospects for U.S.-Russian Partnership, Olga Oliker with Natasha Yefimova. (Santa Monica ,Rand, July 2004). P. 14.

(٦) The Malay-Muslim Insurgency in Southern Thailand. P. 13

ويناقش (راباسا) الأعمال التي تقوم بها المنظمات الخيرية السعودية العاملة في الدعوة إلى الله تعالى في شرق أفريقيا وفي الصومال بخاصة، ويذكر منها: دعم المدارس ومعاهد التدريب، وتشجيع قبول العقيدة السلفية (الوهابية) لدى السكان المحليين<sup>(١)</sup>.

هذا التوجس والخيفة من الدعم السعودي للتعليم الإسلامي في العالم، الذي عرضته جملة النقول السابقة، مع ما عرضه المطلب الثاني من هذا المبحث، من اتهام المدارس الإسلامية بعلاقتها بالتطرف والعنف والجهاد، يؤكد على أن مجمل مواقف (راند) من الدعم السعودي للتعليم في العالم الإسلامي، أنها ضد هذا الدعم، وأن الهدف من محاولة إيقاف الدعم إيقاف نمو الدعوة الإسلامية - القائمة على العقيدة الصحيحة المبنية على الكتاب والسنة - في المناطق التي يستهدفها الدعم السعودي.

إن العالم ليُقر بالسبق الذي حققته المملكة العربية السعودية في تنفيذ مشروعات تنمية إقليمية وقارية ودولية<sup>(٢)</sup>. والمملكة إنما تنطلق في ذلك من القواعد والمبادئ الإسلامية الراسخة، التي أقامت عليها دولتها؛ فتنتطلق من مبدأ التعاون على البر والتقوى، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(٣)</sup>؛ وتنطلق من مبدأ الأخوة الإسلامية الذي قرره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>؛ ومن مبدأ الأمة الإسلامية الواحدة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>(٥)</sup>؛ ومن مبدأ السعي لخير العالم أجمع.

(١) Radical Islam in East Africa. P. 43

(٢) ينظر: دولة في قائمة الشرف العالمية: التنمية البشرية، إعداد مؤسسة نهران، (الرياض، وزارة الإعلام، د.ت)، ص ٥.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٢.

(٤) سورة الحجرات، من الآية: ١٠.

(٥) سورة الأنبياء، من الآية: ٩٢.



فالمملكة عندما تمد يدها إلى العالم لتتعاون معه وتسانده فإنها ترى «ذلك من الواجب الديني عليها تجاه الدول الإسلامية، والواجب الإنساني، الذي هو جزء من الواجب الديني تجاه البشرية جمعاء»<sup>(١)</sup>.

تلك القواعد والمبادئ جعلت المملكة لم تقتصر في دعمها العالمي على التعليم القائم على العلوم الشرعية فحسب، بل نهجت منهجاً متوازناً، جمعت فيه بين دعم التعليم الإسلامي، والعلوم الثقافية والدينية الأخرى المفيدة، حتى إن كثيراً من مدارسها التي تقوم بإنشائها في الخارج تقوم على هذا التوازن، فتُدَرِّس اللغات، والرياضيات، والعلوم، والرياضة. وتدعم كذلك مدارس تقوم بتدريس هذه العلوم في أوروبا وآسيا وأفريقيا وغيرها<sup>(٢)</sup>. كما تقوم بعض مؤسساتها الخيرية بالتركيز على تعليم الجانب المهني، كالندوة العالمية للشباب الإسلامي، وقد وقف الباحث بنفسه -من خلال زيارات رسمية- على بعض أعمالها في أفريقيا وآسيا. فالمنهج المتوازن يقوم على الثبات في سياسة المملكة العربية السعودية، وسياسة مؤسساتها الخيرية.

وتبني المملكة دعم العلوم الدينية التي تعود على البشرية بالخير والنفع أمر يدعو إليه الإسلام، وقد بين ابن تيمية رحمه الله: أن العلوم الشرعية قسمان: عقلية وسمعية، وقال: «كل علم عقلي أمر الشرع به أو دل الشرع عليه فهو شرعي أيضاً»<sup>(٣)</sup>.

يتضح من ذلك أن التعليم الإسلامي كما يشمل الدراسات الدينية الخالصة؛ فإنه يشمل الدراسات الإنسانية، كاللغات وآدابها، والتاريخ والاجتماع؛ ويشمل دراسات العلوم البحتة، كالرياضيات، والفيزياء، وعلوم الأرض؛ ويشمل دراسات العلوم التطبيقية، كالطب، والهندسة؛ ويشمل كل ما يستجد من المعارف النافعة<sup>(٤)</sup>.

(١) دور المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام، د. عبد الحكيم عبد السلام المدني، (الرياض، دار السلام، ١٤٢٤هـ)، ص ٤٧٧.

(٢) ينظر: دولة في قائمة الشرف العالمية، ص ٦٩-٨١.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٣٣/١٩.

(٤) أزمة التعليم المعاصر، ص ١٢٩-١٣٠.

فالنظام التربوي الإسلامي استطاع «استيعاب كل المعارف الإنسانية المتاحة، ونقدها وتطويرها وتنميتها بالعديد من الإضافات الأصيلة، وإثرائها بالنظرة الإسلامية الشاملة للإنسان والكون وعلاقتهما بالخالق العظيم»<sup>(١)</sup>.

وعندما تُعنى المملكة بدعم تعليم العلوم الشرعية ونشر الدعوة السلفية، فإنها تحقق الجانب الأهم في معاش الناس ومعادهم، قال ابن تيمية رحمه الله: «وحاجة الخلق إلى تصديق الرسول أشد من حاجتهم إلى جميع الأشياء، إذ بذلك تحصل سعادتهم في الآخرة، ونجاتهم من العذاب، وبه يحصل صلاح العباد في المعاد والمعاش»<sup>(٢)</sup>. وقال الإمام أحمد رحمه الله -عن علم الإسلام-: «الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه»<sup>(٣)</sup>. وقال ابن القيم رحمه الله - بعد أن عدد أهم حاجات الناس الدنيوية - : «ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاطرهم ومعبودهم جل جلاله فوق مراتب هذه الحاجات كلها، فإنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوه ويعبدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، ونهاية مرادهم، وذكره والتقرب إليه قرة عيونهم، وحياة قلوبهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالاً من الأنعام بكثير، وكانت الأنعام أطيّب عيشاً منهم في العاجل، وأسلم عاقبة في الآجل»<sup>(٤)</sup>. وقال الذهبي رحمه الله: «فإن العلم الواجب يجب بثه ونشره، ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناده يتعين نقله ويتأكد نشره، وينبغي للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه»<sup>(٥)</sup> هـ. والمملكة العربية السعودية قد عُنت بنشر العلم الواجب ونشر العلم المباح.

(١) المرجع السابق، ص ٩٤.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق د.علي بن حسن بن ناصر، ود.عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، ود.حمدان بن محمد الحمدان، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـ)، ٦/٣٥٩.

(٣) مدارج السالكين ٢/٤٧٠.

(٤) الصواعق المرسلّة ١/٣٦٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٠/٦٠٤.

ثم إن ما تقوم به المملكة حكومة وشعباً، وغيرها من الحكومات والشعوب الإسلامية، هو من نصرة إخوانهم في الدين، بتعليمهم وتثقيفهم بدينهم، هو فريضة تدعو إليها أخوة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾<sup>(١)</sup>. وكان النبي ﷺ يحرص على تعليم الناس في أفطارهم دينهم، ويبعث إليها الدعاة والمعلمين، وسار خلفاؤه من بعده على سنته ﷺ، قال الإمام مالك رحمه الله: «إن النبي ﷺ كان في هذه الأمة، وكان يبعث السرايا، وكان يخرج، فلم يفتح من البلاد كثيراً حتى قبضه الله عز وجل، ثم قام أبو بكر ﷺ، فلم يفتح من البلاد كثيراً، ثم قام عمر ﷺ بعدهما ففتحت البلاد على يديه، فلم يجد بداً من أن يبعث أصحاب محمد ﷺ معلمين، فلم يزل يؤخذ عنهم كابرًا عن كابر إلى يومهم هذا»<sup>(٢)</sup> هـ.

مع هذا البيان فإن اللوم الحقيقي إنما يقع ويوجه إلى من يسعون إلى إخراج الناس من النور إلى الظلمات، وإضلال الناس، ومنع إيصال الهدى إليهم، ليخسروا الدنيا والآخرة، وإيجاد منهج دائم لهذا الإضلال والصد عن سبيل الله. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَكَاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عَوْجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

إن محاولة تخفيف منابع التمويل للتعليم الإسلامي، قد تضعفه، لكنها بحال لن تستطيع القضاء عليه؛ لأنه داخل في حفظ الله تعالى لكتابه ولدينه؛ ولأن التعليم الإسلامي في كثير من مناطق العالم يقوم على الاحتساب، أو القليل من النفقات التي يجري جلبها من الداخل؛ فلن يقضي عليه قطع التمويل عنه، لكن ربما يضعفه.

(١) سورة الحجرات، من الآية: ١٠.

(٢) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، إعادة طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن بالهند، ١٢٧١هـ)، ٢٩/١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٧.

## المطلب السادس : التعليم في المملكة العربية السعودية:

تستعرض دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) وضع التعليم في المملكة، ومما تقول فيه: إن (٣٠-٤٠٪) من المناهج الدراسية تركز على التعليم الديني، وأن الطالب يقضي من ساعتين إلى ثلاث ساعات أسبوعياً في حفظ القرآن الكريم، وساعات أخرى لحفظ الحديث النبوي<sup>(١)</sup>. ويقول خبير (راند) (جنكينز): «الكتب المدرسية المستخدمة في المدارس السعودية تُدسم العداء تجاه اليهود والنصارى»<sup>(٢)</sup>.

لا يقتصر النقد الموجه ضد التعليم الإسلامي في المملكة العربية السعودية على ما ذكره خبراء (راند)، فهم إنما ذكروا نماذج من النقد. فإن التعليم الإسلامي في المملكة قد تعرض لهجمة متعددة الأطراف، انطلقت من الخارج والداخل، لكنها ذات هدف واحد، يرمي إلى إضعاف التعليم الإسلامي، وإقصاء المنهج السلفي القائم على الكتاب والسنة عن التعليم وعن مخرجاته.

وبعض النقد الذي وُجه إلى بعض مقررات التعليم في المملكة «في واقع الأمر ليس نقداً موجهاً إلى المقرر، بقدر ما يكون موجهاً إلى معتقد أهل السنة، وإن كان جام الغضب قد صُب على المقرر»<sup>(٣)</sup>.

ويؤكد هذا ما خلص إليه باحث في دراسته للدكتوراه، درس فيها مقررات التعليم العام في المملكة، وخلص إلى «أن جميع المسائل الاعتقادية، المذكورة في مقررانا الدراسية، تستند على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وفق منهج السلف الصالح»<sup>(٤)</sup>.

(١) The Muslim World after 9/11. P. 111

(٢) Unconquerable Nation. P. 134

(٣) الأمن الفكري في مقررات التوحيد في المرحلة الثانوية، ص ٣٨٩.

(٤) الدعاوى المتعلقة بمسائل العقيدة في مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية: عرض وتقييم، د. أحمد بن جزاع الرضيمن، (الرياض، دار السنة للنشر، ١٤٣٠هـ)، ص ٥٧٩.

إن التعليم الإسلامي في العالم الإسلامي لم يكن طارئاً أو حديثاً، بل كان مع ظهور الإسلام، وسيظل إلى قرب قيام الساعة؛ إذن فالتعليم الإسلامي أصلٌ في المجتمع الإسلامي، والمجتمعات تعتر بأصولها وتحافظ عليها؛ فلا عجب أن تعلو نسبة المناهج الدراسية الدينية، أو أن تكون نسبتها متوازنة مع غيرها، لكن العجب أن تنخفض.

والمملكة العربية السعودية إنما تعتمد في التعليم على قاعدة رسالية، تتمثل بالمنهج السلفي في نظره المتميزة للعلم والتعليم، التي تجمع بين العلوم الشرعية، والعلوم الدنيوية النافعة؛ وهذا جعلها تجمع بين الأصالة الحقيقية مع المعاصرة الواعية؛ ونتج عنها مآثر فريدة ظلت مناط فخر المملكة العربية السعودية، وكانت دليلاً على صفاء إسلامية المنهج الذي تعلنه<sup>(١)</sup>.

كما تنبثق سياستها التعليمية من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقاً وشرعية وحكماً ونظاماً متكاملًا للحياة<sup>(٢)</sup>.

«إن إسلامية التعليم التي تبنتها المملكة في سياستها التعليمية تأسيساً على العلوم الشرعية، وتأصيلاً إسلامياً للتخصصات التقنية والاجتماعية، هي المنهج الأمثل بل الوحيد لبناء شخصية إسلامية حضارية، تؤمن بربها، وتدين بالولاء لدينها ومن ثم لأمتها ووطنها، وتعي واقع العصر الذي تعيش فيه، وتُسخر فكرها في التخصص الميسر لها لخدمة الأمة والوطن»<sup>(٣)</sup>.

وقول (جنكينز): «الكتب المدرسية المستخدمة في المدارس السعودية تُدسم العداء تجاه اليهود والنصارى»<sup>(٤)</sup>، كلام غير دقيق، فإن من درس المقررات في التعليم السعودي - بصورة تفصيلية تحليلية - وجد أن هذه المقررات تُقدّم النظرة المتوازنة في باب الولاء والبراء، فتعرض الأحكام المتعلقة بهما، وتبين بعض المفاهيم الخاطئة بشأنهما، وتزيل الخلط بين موالاة الكافر

(١) تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة للزبيدي، ص ٢٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٦.

(٣) نفسه، ص ٢٥٨.

(٤) Unconquerable Nation. P. 134

الممنوعة وبين البر والإحسان الذي لا يستلزم المحبة الدينية؛ كي لا يتلقف الطالب هذا المعتقد من المجاهيل أصحاب الغلو عبر الشبكة العالمية للمعلومات<sup>(١)</sup>، أو غيرها.

وتُقدّم بعض المقررات في التعليم السعودي آداب التعامل مع المخالف، سواء في المسائل الفقهية، أم في المسائل العقديّة، وتبني في ذلك تقرير منهج أهل السنة والجماعة، وحرصت على تحصين الطالب بالأصول الشرعية والضوابط المرعية في التعامل مع المخالف، سواء كان من المسلمين أم من غير المسلمين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الدعاوى المتعلقة بمسائل العقيدة في مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية، ص ٥٨٠؛ والأمن الفكري في مقررات التوحيد في المرحلة الثانوية، ص ٨٧-٨٨.

(٢) الأمن الفكري في مقررات التوحيد في المرحلة الثانوية، ص ٢٤٥.

## المطلب السابع : التعليم في قطر :

تستضيف قطر في مدينة الدوحة معهدَ (راند - قطر) للسياسات، منذ عام ١٤٢٤هـ، وهو معهد مسؤول عن معظم بلدان العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا. وتشارك (راند) بدرجة كبيرة في تطوير التعليم في قطر<sup>(١)</sup>، وكان لها أعمال متعددة لسياسة التعليم ونظمه في قطر، أُشيرَ إلى بعضها في بداية المبحث. وتستدعي أعمال (راند) في شأن التعليم في قطر رسائل علمية تربوية مستقلة. ولـ(راند) دراسات غُنيّت بوضع معايير المحتوى للمناهج التعليمية في قطر، واقتصرت على أربع مواد، هي: اللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والرياضيات، والعلوم<sup>(٢)</sup>. وتُقدّم عملية تطوير التعليم في قطر على أنها نموذج للدول الأخرى، ينبغي أن تسير على منوالها، حيث تتحدث إحدى دراسات (راند) المتخصصة عن مبادرة قطر في تطوير التعليم، وتدعو إلى «أن يكون النموذج القطري بمثابة منارة للدول الأخرى تدعوهم لدراسة أنظمة التعليم لديها، والبدء في عملية التحسين مع دمج بعض أو كافة مبادئ المبادرة هذه في خططهم الرامية للتطوير»<sup>(٣)</sup>. وتتحدث دراسة أخرى عن تجربة قطر في مبادرة تطوير التعليم، وتُعدها: قاعدة معرفية يمكن نقلها إلى دولة أخرى للحصول على أفضل المشاريع للاستثمار في رأس المال البشري لشعوبها في العقود المقبلة<sup>(٤)</sup>.

(١) Education for a New Era: Design and Implementation of K-12 Education Reform in Qatar, Dominic J. Brewer & Others, (Santa Monica, Rand, 2007). P. 78.

(٢) تعليم لمرحلة جديدة: وضع خطة لتطوير التعليم في قطر من رياض الأطفال حتى الصف الثاني عشر وتطبيقها، ملخص تنفيذي، دومينيك جي بروير وآخرون، (سانتا مونيكا: الولايات المتحدة الأمريكية، راند، ٢٠٠٧م)، ص ١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠.

(٤) مجابهة تحديات رأس المال البشري: تقييم تجارب أربع دول في المنطقة العربية، (موجز البحث)، المؤلفون غير مذكورين، (سانتا مونيكا: الولايات المتحدة الأمريكية، راند، ٢٠٠٨م)، ص ٤.

وهذا يدل على أن قطر قد رُشحت لتكون أنموذجاً حضارياً في مجال التعليم لباقي دول الخليج، والدول العربية الأخرى.

وإذا كانت (راند) قد أصبحت المسؤولة في اقتراح السياسة التعليمية في قطر، فإن السياسة التعليمية هي الركن الأساس، الذي يهيمن على سائر الأركان في العملية التعليمية؛ إذا يشتمل على أهداف التعليم الكبرى، والغايات العامة العظمى منه، والأسس العامة التي يقوم عليها، والتخطيط لإنشاء مؤسساته. وتارة تكون السياسة التعليمية معلنة بقرارات ومراسيم، وتارة تكون غير مكتوبة ولا معلنة، إلا أنها ملاحظة ذهنياً لدى الموجهين لمسيرتها<sup>(١)</sup>.

«والسياسة التعليمية توحى بها وتحددها عقائد واضعي هذه السياسة، أو مصالحهم القومية أو الشخصية»<sup>(٢)</sup>. فهل أصبحت عقائد خبراء (راند) من يهود ونصارى وعلمانيين محل قبول لدينا؟ وهل أصبحت مصالحهم الوطنية الأمريكية تتوافق مع مصالح المسلمين؟

يقول بكر أبو زيد رحمه الله: «وما روح التعليم وجوهره إلا ظل لعقائد واضعيه وأخلاقهم، فلا بد أن ينتج الأهداف والغايات التي تعكس آثار هذا التعليم بكيته على العقائد، والأخلاق، والثقافة، والسياسة، والاجتماع».

فإذا تبنت أمة نظام التعليم في عقيدتها وأخلاقها، أنتج أهدافه منعكسة على شدّ الأمة إلى عقيدتها وأخلاقها، وسياستها، وآدابها الاجتماعية، والثقافية، ووحدها في ذلك، وتضييق مساحة الصراع والتبدد والانقسام.

أما إذا تبنت أمة نظام تعليم وافد في ظل عقيدة غير عقيدتها، وأخلاق غير أخلاقها، فإنه ينتج أهدافه منعكسة عليها في الاعتقاد والأخلاق والسياسة والاجتماع؛ لما تنطوي عليه نفوس ناشئتها من أفكار وانحرافات مغايرة لما عليه إيمانها وعقيدتها وسلوكها، مفضياً ذلك إلى زعزعة العقيدة، ثم الردة الفكرية، فالعقدية، وبه تؤول حياة الأمة إلى تبدد وانقسام، وتصدع وصراع، وتعيش في ظله بين البناء والهدم، والتصديق والتكذيب، والاحترام والازدراء، والتشقق في تزايد وامتداد، والصراع في تصاعد واتساع، ولا تسأل حينئذ عن فشو الفوضى، واضطراب الأحوال.

(١) غزو في الصميم، ص ١٠، ١٣. من غير ارتباط بقطر و(راند).

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.



والحاصل أن نظام التعليم الوافد ينفذ إلى صخرة الوحدة والاجتماع، ويفككها إلى الفوضى والصراع، حتى تصل إلى حال يصعب التغلب عليها، فتكون بداية النهاية»<sup>(١)</sup>. هـ. وقد كان في استيراد النظم التعليمية الغربية إلى البلدان الإسلامية «أبلغ الأثر في تدهور التعليم فيها؛ لأنها ليست نابعة من احتياجاتها، ولا تتلاءم مع قدراتها، فضلاً عن أنها كثيراً ما تناقض فكرها وعقيدتها وتراثها»<sup>(٢)</sup>.

ووجد باحثٌ درس أثر المستشرقين في توجيه السياسة التعليمية في العالم العربي: أن «من نتائج الأخذ بالمناهج الغربية في التعليم في بعض أجزاء العالم الإسلامي أن ظهر جيل صنعه المستعمر، وأسلم إليه مقاليد الحكم والقيادة والقرار، وقد تميز هذا الجيل بإعجابه بالحضارة الغربية وبكل ما هو أجنبي فاستمد مثله وثقافته وسلوكه من معطيات هذه الحضارة الغربية»<sup>(٣)</sup>. إن مجرد قيام شخص أو مؤسسة خارجية بجمع المعلومات عن السكان يعد من الجاسوسية التي تحاسب عليها الدولة، فكيف يتمكن مؤسسة (راند) من ذلك وأكثر منه بكثير، مع اعتراف نائب رئيسها بقيام المؤسسة ببعض الأعمال الاستخباراتية خلال الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي<sup>(٤)</sup>!

وإن كانت الأمة الإسلامية قد اشتكت سابقاً ولا تزال من وجود بعض المدارس الأجنبية في بلادها، ومن تأثيرها في بعض المسلمين، فإنها اليوم تشكو في بعض أراضيها من تسلُّم الأجنبي -المنبت الصلة عن دينها- مهمة تطوير التعليم فيها؛ وما هذا إلا لضعف المسلمين ورضوخهم لأساليب الاستعمار الحديث. فالله المستعان وإليه المشتكى.

(١) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، ص ٣٢؛ وينظر: أزمة التعليم المعاصر، ص ٥١-٥٢.

(٢) أزمة التعليم المعاصر، ص ٥١.

(٣) المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي مع دراسة تطبيقية على دول الخليج العربي،

نايف بن ثنيان آل سعود، (الرياض، دار أمية، ١٤١٤ هـ)، ص ٣٣٦.

(٤) سبقت الإشارة إلى مصدر هذا الاعتراف ص ١٠٨.